﴿تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨﴾ [ق: 8]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

التَّبصرةُ علَّة ذكرِ الأدلَّة المنصوبة لأذهانِ الكاشفة

بعد أن ذكر البيانُ الكريمُ في الآيتين السّابقتَين بعضًا من النِّعَم الدّالَّةِ على قُدرة الله تعالى على إحياءِ الموتى وبعثهم؛ ناسب أن يوَضِّح في هذه الآية أنَّه جلَّ شأنُه أنعمَ على خلقه بهذه النِّعم لأجْلِ أن ينظروها بأبصارهم، ثمَّ يتفكَّروا ببصائرهم، فيعْبُروا منها إلى صانِعِها، وليعرفوا عجزَهم أمامَ عظيمِ قدرتِه، فيؤمنوا به، ويعبدوه[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَبۡصِرَةٗ﴾: (بصر) أصْلٌ يدلُّ على العِلْمِ بالشَّيْءِ، يُقالُ: هوَ بَصيرٌ به[2]، والبَصَر يُقال للجارحة الناظرة، وللقوَّة التي فيها، وأمّا لقوَّة القلب المدركة؛ فيُقال: بَصيرَة وبَصَر، قال تعالى: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: 108]، أي: على معرفةٍ وبيِّنةٍ ويقينٍ، وقال تعالى: ﴿بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ١٤﴾ [القيامة: 14]، أي: هو البصير، كما تقول: أنت حُجَّةٌ على نفسك، وقوله تعالى: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ﴾، يعني: جعلنا ذلك تبصرةً؛ لِنَدُلَّ به على كمال قدرتنا، أي: (تبصيرًا وتنبيهًا)[3].

2) ﴿وَذِكۡرَىٰ﴾: (ذكر) أصْل يدلُّ على قوَّة الشَّيء وصلابة مادَّته، ومنه الذِّكرُ خِلافُ النِّسيان؛ إذْ هو بقاءُ الشَّيء قويًّا في الذِّهن واضحًا[4]، والذِّكْرُ تارةً يُقال اعتبارًا باستحضاره، وتارةً يقال لحضور الشيء القلبَ أو القول، ولذلك قيل: الذِّكر ذكران:

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 410.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بصر).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي: (بصر).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي: (ذكر).

ذكرٌ بالقلب، وذكرٌ باللِّسان، وكلُّ قول يُقال له: ذكر، والذِّكْرَى في هذه الآية: كثرة الذِّكر، وهو أبلغ من الذِّكر، كما قال تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [ص: 43]، وقال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: 55][1].

3) ﴿عَبْدِ﴾: (عبد) يَدُلُّ عَلَى لينٍ وذُلٍّ، ومنه العَبْدُ، وهوَ المَملوكُ، والجَماعَةُ العَبيدُ[2]، والعُبوديَّةُ: إظهار التَّذلُّل، والعِبادَةُ أبلغُ منها؛ لأنَّها غايةُ التَّذلُّل، ولا يستحقُّها إلّا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى، والناس كلُّهم عِبادُ الله، بل الأشياء كلُّها كذلك، لكنَّ بعضها بالتَّسخير، وبعضها بالاختيار[3].

4) ﴿مُّنِيبٍ﴾: (نوب) أصلٌ يَدُلُّ عَلَى اعتيادِ مَكانٍ ورُجوعٍ إلَيْه، يُقال: نابَ يَنوبُ، والنّوَبَ: النَّحْلُ، سُمّيَت به لِرَعْيِها ونَوْبِها إلَى مَكانِها[4]، والإنابة إلى الله: الرُّجوع إليه بالتَّوبة وإخلاص العمل، قال تعالى: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾﴾ [ص: 24]، وقال: ﴿وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾ [الممتحنة: 4]، و﴿مُّنِيبٍ﴾ معناه: راجع إلى الحقِّ[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

التعريفُ بقدرة الله والتذكيرُ بحقوقه من مقاصِدِ سياق السّورة

تَوَضِّح الآيةُ الكريمةُ أنَّ الأسبابَ الدّافعةَ لِذكر مَدِّ الأرض، وتثبيتِها بالجِبالِ الرَّواسي، وإنباتِ كلِّ صِنفٍ حسنٍ من النَّبات فيها هي أن يُبصِرَ العبادُ بصفة عامَّة - والمنيبون منهم بصفة خاصَّة - دلائلَ وحدانيةِ الله تعالى وقدرتِه، وأنْ يتذكَّروا ما يَجِب عليهم فعلُه والقيامُ به نحوَ خالِقِهم ورازقهم من الشكر العميم، والعبادةِ الخاشعةِ[6].

(1) الراغب، مفردات القرآن: (ذكر).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عبد).
(3) الراغب، مفردات القرآن: (عبد).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نوب).
(5) الفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز: 5/ 132.
(6) طنطاوي، التفسير الوسيط: 13/ 335.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ إعرابِ ﴿تَبْصِرَةً﴾:

الإنعامُ بأذواتِ الاستدلالِ يَظهَرُ في التَّبصيرِ والذِّكرى

قولُ اللهِ تعالى: ﴿تَبْصِرَةً﴾ - والمعطوفُ عليه ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ - يحتمل أن يكون منصوبًا على أنَّه مفعولٌ لأجله[1]، ويحتمل أن يكون منصوبًا على أنَّه مفعولٌ مُطلَق لفعلٍ محذوفٍ، تقديرُه: (بَصِّرهم تبصرةً، وذَكِّرهم تذكرةً)، وفيه تأكيدٌ لكون بيانِ النِّعَمِ وسيلةً فاعلةً للتَّعريف بالمُنعِمِ والتَّذكيرِ بما يجب على الخلق تجاهَ مَنْ تفضَّل بها عليهم، وقيل: هما حالٌ من الفاعل، والمعنى: (مبصِّرين ومذكِّرين)، أو حال من المفعول، والمعنى: أنَّ كلًّا من السماء والأرض ذاتُ تبصرةٍ وذاتُ تذكرة[2]، وهي أوجهٌ من الإعرابِ يُعطي كلٌّ منها دلالةً من المعنى تتساق مع النَّظم، وتتلاءم مع السياق.

نكتةُ عَطفِ الذِّكرى:

إذا تحقَّقتِ التَّبصرةُ؛ تَبِعتها الذِّكرى

عُطف لفظ الذِّكْرَى على التَّبصرة في قول اللهِ تعالى: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ النظر في السماء والتأمُّلَ في الأرض ينتج عنه البصرُ والذكرى مُقترنَين، أي: إنَّهما يحصلان معًا، ولا يتخلَّف أحدهما عن الآخر، عندما يكون الإنسان ذا قلبٍ حيٍّ منيب، وعقلٍ واعٍ رشيدٍ، وفي العطف بينهما دلالةٌ على أنَّ السماء والأرض فيهما آياتٌ مستمِرَّةٌ منصوبةٌ في مقابلة البصائرِ، وآياتٌ متجدِّدَةٌ مذكِّرةٌ عند النِّسيان أو التَّناسي[3]، وجاء تقديمُ التَّبصرة على الذِّكرى؛ لبيانِ أنَّها الأصل في ذلك، فإذا تحقَّقتِ التَّبصرةُ؛ تَبِعتها الذِّكرى، فالذِّكرى تجديدٌ للتَّبصير، وحفظٌ للمُبَصَّرِ من النِّسيان.

---

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 13/ 335.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 129، والسمين الحلبي، الدر المصون: 10/ 20.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 129.

نكتة تنكيرِ المَعطوفَين:

النظرُ في السماءِ والأرضِ أمـرٌ لـه عظيمُ الأثـرِ على قلبِ العبدِ المُنيبِ

أوثِر تنكيرُ ﴿تَبۡصِرَةً وَذِكۡرَىٰ﴾؛ لِما يفيدُه التنكيرُ والتنوينُ من التعظيم والتفخيم، الدالِّ على عظيمِ أثَرِ النظرِ في السماواتِ وما فيها من زينةٍ، والتأمُّلِ في الأرض وما فيها من جبالٍ ونباتٍ بهيجٍ على قلبِ الإنسانِ السَّويِّ المُنيبِ، والمعنى: (لتَنظُروا بأبصاركم، ثمَّ تتفكَّروا ببصائركم، ثمَّ تتذكَّروا بهذه الآيات، تبصُّرًا بليغًا، وتذكُّرًا عظيمًا، بما لكم من القوَى والقدرة، فتعلموا بعجزكم عن كلِّ شيء من ذلك أنَّ صانعَها لا يُعجِزُه شيءٌ، وأنَّه محيطٌ بجميع صفات الكمال؛ إذْ لو أنَّه ألَمَّ بجنابِه شائبةٌ من شوائبِ النَّقص؛ لما فاضَ عنه هذا الصُّنعُ الغريبُ البديعُ)[1].

معنى اللّام ودلالتُها:

تشريفُ المؤمنين بـإحـرازِ سَجايا الفضائل

اللامُ في قول الله تعالى: ﴿تَبۡصِرَةً وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾ حرفُ جرٍّ، يفيد حصرَ التَّبَصُّر والتَّذَكُّر في العبد المنيب، وإنَّما خُصَّ العبدُ المنيبُ بهما، - وإن كان فيما ذُكِر من أحوال الأرض إفادةُ التَّبصرة والذكرى لكلِّ أحد - لأنَّه الذي ينتفع بذلك؛ فكأنَّه هو المقصود من حكمة تلك الأفعال، وهذا تشريفٌ للمؤمنين، وتعريضٌ بإهمال الكافرين التبصُّرَ والتذكُّرَ[2].

غرضُ الإضافةِ في ﴿لِكُلِّ عَبۡدٖ﴾:

عمـومُ التبصُّر والـتـذكُّـر وشـمـولُـه كـلَّ العبادِ التَّوّابين الـرجـاعـين إلى ربهم

جيء بالاسم المجرور (كُلٍّ) مُضافًا إلى ﴿عَبۡدٖ﴾، في قول الله تعالى: ﴿تَبۡصِرَةً وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾؛ للدَّلالة على عموم التبصُّر والتذكُّر، وشمولِه كلَّ العبادِ التَّوّابين الرّجّاعين إلى ربهم، فالمعنى أنَّ تلك الأفعالَ قُصد منها التبصرة والذكرى لجميع العباد المُتَّبعين للحقِّ؛ إذْ لا يَخلون من تبصُّر وتذكُّر بتلك الأفعال، على تفاوُتٍ بينهم في ذلك[3].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 411.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 291.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 291.

سِرُّ اختيارِ لفظ العَبد:

أوثر التعبير بالعبد في قول الله تعالى: ﴿تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾؛ لِما يَدلُّ عليه من النَّقص، فإذا رأى ما دلَّ عليه هذا الصُّنْعُ من كمال خالقِه؛ تذكَّر أنَّه عبدٌ مربوبٌ لصانِعه[1].

دلالة وصف العبد بـ ﴿مُّنِيبٖ﴾:

العبدُ المنيبُ هو الحقيق بالبصرِ والتَّذكُّر

خصَّ النَّظم الكريم وصف العبد بالإنابة، في قول الله تعالى: ﴿تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ العبيد لا ينتفعون كلُّهم بالنَّظر في السَّماء، ولا يتذكَّرون الله تعالى عند تعاطيهم نعمَه والاستفادةِ بها، فإنَّما الذي يحصل منه ذلك، هو العبدُ المنيبُ، أي: (الرّاجعُ إلى الحقِّ بطاعة الله)، فإذا انحرف، أو شَغَله شاغلٌ؛ ابتدر الرجوعَ إلى ما كان فيه من الاستقامة والامتثال، فلا يفارقه حالُ الطّاعة، وإذا فارقه قليلًا؛ آبَ إليه، وأنابَ[2]، ويمكن أن يكون معناه: (الرّاجع إلى التَّفَكُّرِ والتَّذكُّرِ والنَّظرِ في الدلائلِ)[3].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 411.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 291.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 129.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والخمسون،
سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 57 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-650-27-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 57 : المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-650-27-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4331956 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"